حَتْمِيَّةُ هَلَاكِ المُستكبِرينَ وَنَجَاةِ المُستضعَفينَ

-دِرَاسَةٌ سُنَنِيَّةٌ قُرآنِيَّةٌ-

◆ الشيخ د. لبنان حسين الزين[1]

■ **خلاصة**

تتناول هذه المقالة بالبحث والدراسة الصراع التاريخي بين المُستضعَفين والمُستكبِرين من منظار سُنَني قرآني، وذلك على طول حركة المجتمع الإنساني. وتبيّن سعي المُستكبِرين الدائم إلى استضعاف أهل الحقّ والإمعان بالاستكبار والفساد في الأرض، وما يصيبهم من سُنَن إلهيّة؛ بفعل استكبارهم وإفسادهم. وكذلك تكشف عن السُنَن الإلهيّة الجارية في مجتمع المُستضعَفين، والوعد الإلهي بتمكينهم في الأرض وتوريثهم إيّاها. وتؤكِّد المقالة على أنّ هذا الصراع وما يجري فيه محكوم بسُنَن إلهيّة لا تتبدّل ولا تتحوّل. ولذا، لا بدّ من فهمها والوعي بها والاسترشاد بهديها في إدراة الصراع مع المستكبرين، والتمهيد لتمكين المُستضعَفين في الأرض. وبالمحصِّلة، تجيب المقالة عن الأسئلة الآتية: ما هي مفاهيم «الاستكبار» و«الاستضعاف» و«السُنَن» في القرآن الكريم؟ وما هي السُنَن الاجتماعية ومحدّداتها وخصائصها وأشكالها ومساراتها؟ وما هي أبرز السُنَن الجارية في مجتمع المُستضعَفين والمُستكبِرين؟ وكيف يمكن الاستفادة من هذه السُنَن في تشكيل فهم سُنَنيّ لمجتمع المُستضعَفين في مواجهته لمجتمع المُستكبِرين؟

الكلمات المفتاحية: السُنَن القرآنيّة، السُنَن الاجتماعيّة، السُنَن التاريخيّة، الاستكبار، الاستضعاف، هلاك المُستكبِرين، نجاة المُستضعَفين.

---

١ - مدرّس متفرّغ ورئيس لجنة القرآن والحديث في جامعة المصطفى ﷺ العالميّة في بيروت، باحث وكاتب في الدراسات الإسلاميّة والقرآنيّة، من لبنان.

Inevitability of the Arrogant Destruction, Salvation of the Weak
Qur'anic Sunnah Study

◆ **Sheikh Dr. Loubnan Hussein Al-Zein**

Lebanese full-time teacher, Head of the Qur'an and Hadith Committee at Al-Mustafa International University in Beirut, researcher and writer in Islamic and Qur'anic studies

■ Abstract

This article examines the historical conflict between the oppressed and the oppressors from a Qur'anic perspective that aligns with the dynamics of human society. It demonstrates the oppressors' persistent efforts to weaken the righteous and perpetuate corruption, and the inevitable divine laws that result from this. It also reveals the prevailing laws within the oppressed society and the divine promise of their empowerment and inheritance of the earth, emphasizing immutable divine laws govern this conflict. This necessitates awareness of these laws and guidance in managing the conflict and paving the way for empowerment.

Finally, the article addresses fundamental questions concerning the concepts of oppression, subjugation, and divine laws [Sunan] in the Holy Qur'an. It explores the nature, determinants, and trajectories of social laws, analyzes the most prominent prevailing laws in the societies of the oppressed and the oppressors, and examines how these can be utilized to construct a divinely ordained vision that supports confrontation and empowerment.

Keywords:

Qur'anic Laws, Social Laws, Historical Laws, Arrogance, Oppression, Destruction of the Arrogant, Salvation of the Oppressed.

مقدِّمة

الصراع بين المُستضعَفين والمُستكبِرين هو في جوهره وواقعه صراع بين أهل الحقّ وأهل الباطل؛ فالمُستضعَفون يمثّلون جبهة الحقّ، والمُستكبِرون يمثّلون جبهة الباطل؛ وذلك على طول حركة المجتمع الإنساني في التاريخ والواقع.

وقد بدأ هذا الصراع مع إمام المُستكبِرين (إبليس) اللعين الذي استكبر عن طاعة الأمر الإلهي بولاية الإنسان الكامل المُستخلَف في الأرض، وأعلنها عداوة ومعركة مفتوحة مع جبهة الحقّ [ص: ٧١-٨٣].

وسعى المُستكبِرون عبر التاريخ والواقع إلى استضعاف أهل الحقّ والإفساد في الأرض؛ كما نجد في الأقوام الغابرة المُستكبِرة التي حكى القرآن الكريم قصصها؛ كقوم نوح، وعاد، وثمود، وفرعون... حيث أهلكهم الله تعالى بسبب طغيانهم وعتوّهم واستكبارهم، ونصر المُستضعَفين عليهم، ووعدهم بالتمكين في الأرض وتوريثهم إيّاها [القصص: ٥-٦؛ النور: ٥٥؛ الأنبياء: ١٠٥].

وهذا الصراع وما يجري فيه محكوم بسُنَن إلهيّة لا تتبدّل ولا تتحوّل: ﴿**فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلا**﴾ [فاطر: ٤٣].

لذا، كانت معرفة مجتمع المُستضعَفين بهذه السُنَن والوعي بخصائصها والاسترشاد بهديها، له بالغ الأثر والأهمّيّة في سلامة سيرهم نحو التمكين في الأرض.

فما هي مفاهيم «الاستكبار» و«الاستضعاف» و«السُنَن» في القرآن الكريم؟

وما هي السُنَن الاجتماعية ومحدّداتها وخصائصها وأشكالها ومساراتها؟

وما هي أبرز السُنَن الجارية في مجتمع المُستضعَفين والمُستكبِرين؟

وكيف يمكن الاستفادة من هذه السُنَن في تشكيل فهم ووعي سُنَنيّ لمجتمع المُستضعَفين في مواجهته لمجتمع المُستكبِرين؟

أولًا: مفاهيم (الاستكبار، والاستضعاف، والسُنّة) في القرآن:

١. مفهوم الاستكبار:

أ. الاستكبار في اللغة:

الكبر في اللغة أصل صحيح يدلّ على خلاف الصغر. والكبر: معظم الأمر، والكبر: العظمة، وكذلك الكبرياء[١].

والْكِبرُ والتَّكَبُّرُ والاِسْتِكْبَارُ تتقارب في المعنى؛ فالكِبر هو خصوص الحالة التي يتخصّص بها الإنسان من إعجابه بنفسه؛ وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره. وأعظم التّكبّر هو التّكبّر على اللّه تعالى؛ بالامتناع من قبول الحقّ والإذعان له بالعبادة.

والاسْتِكْبارُ يُقال على وجهين:

- أحدهما: أن يتحرّى الإنسان ويطلب أن يصير كبيراً؛ وذلك متى كان على ما يجب، وفي المكان الذي يجب، وفي الوقت الذي يجب؛ وهو محمود.
- والثاني: أن يتشبّع فيظهر من نفسه ما ليس له، وهذا هو المذموم.

والتَّكَبُّرُ يُقال على وجهين:

- أحدهما: أن تكون الأفعال الحسنة كثيرة في الحقيقة وزائدة على محاسن غيره، وعلى هذا وصف اللّه تعالى بالتّكبّر.
- والثاني: أن يكون متكلّفًا لذلك متشبّعًا؛ وذلك في وصف عامّة الناس بغير الحقّ.

---

١ - انظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج٥، ص١٥٣.

والْكِبْرِيَاءُ: الترفّع عن الانقياد؛ وذلك لا يستحقّه غير اللَّه تعالى[١].

ب. الاستكبار في الاستعمال القرآني:

وردت مفردة (الاستكبار) ومشتَّقاتها في القرآن الكريم في مواضع كثيرة [البقرة: ٣٤؛ ٨٧؛ نوح: ٧؛ فاطر: ٤٣؛ فصلت: ١٥؛ الأحقاف: ٢٠؛ ٤٠؛ ٧٥؛ ١٣٣؛ غافر: ٤٧؛ النحل: ٢٢؛ ٢٣]؛ وأُريد منها قريب المعنى اللغوي المتقدِّم؛ وهو: استعظام الإنسان نفسه بما ليس له وبغير وجه حقّ، واستحسان ما فيها؛ فيرى نفسه أكبر من غيره، ويترفّع ويتعالى على الآخرين ويحتقرهم ويجور عليهم ويطغى، ويتمنّع عن قبول الحقّ؛ عنادًا وجحودًا وإنكارًا. وهذا الاستكبار قد يكون حالة فرديّة أو حالة مجتمعيّة[٢].

٢. مفهوم الاستضعاف:

أ. الاستضعاف في اللغة:

ضعف في اللغة أصلان متباينان، يدلّ أحدهما على خلاف القوّة[٣].

والضَّعْفُ قد يكون في النّفس، وفي البدن، وفي الحال. والاستضعاف يقابل الاستكبار[٤].

ب. الاستضعاف في الاستعمال القرآني:

وردت مفردة (الاستضعاف) ومشتَّقاتها في القرآن الكريم في مواضع كثيرة [القصص: ٥؛

---

١ - انظر: الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص٦٩٧-٦٩٨.

٢ - انظر: الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص٦٩٧-٦٩٨؛ حسن مصطفوي: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج١٠، ص١٧-١٩.

٣ - انظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص٣٦٢.

٤ - انظر: الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص٥٠٦-٥٠٧.

النساء: ٧٥؛ ٩٧؛ ٧٩؛ ١٢٧؛ الأعراف: ١٥٠؛ سبأ: ٣٣؛ الأنفال: ٢٦]؛ وأُريد منها قريب المعنى اللغوي والمعنى المقابل للاستكبار؛ وهو: طلب شخص أن يكون شخص آخر ضعيفًا، فهو مُستضعَف، وذاك مستضعِف. فالمُستضعَف هو الَّذي يُجعَل ضعيفًا. ويقابله المُستكبِر الَّذي استضعَف غيره وطلب ضعفه. وهذا الاستضعاف قد يقع على الفرد، وقد يقع على المجتمع، وقد يكون صادرًا من فرد أو من مجتمع[١].

٣. مفهوم السُنّة:

أ. السُنّة في اللغة:

السُنَن في اللغة مشتقّة من فعل سَنَّ؛ وهو جريان الشيء واطّراده في سهولة. ومنه اشتُقَّت السُّنَّة؛ وهي السيرة[٢].

ب. السُنّة في الاستعمال القرآني:

وردت مفردة السُنَّة ومشتقاتها في القرآن الكريم في موارد عدّة [الأحزاب: ٣٨؛ ٦٢؛ فاطر: ٤٣؛ الإسراء: ٧٧؛ الأنفال: ٣٨؛ الحجر: ١٣؛ الكهف: ٥٥؛ آل عمران: ١٣٧؛ النساء: ٢٦]؛ أُريد منها معنى جامع؛ وهو جريان أمور على تقديرات وضوابط مخصوصة ثابتة لا تتبدّل ولا تتغير[٣].

وسُنَن الله -تعالى- هي جريان أمره وحكمه وقضائه في خَلْقه؛ بظهور صفاته وأسمائه وأفعاله

---

١ - انظر: الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص٥٠٦-٥٠٧؛ حسن مصطفوي: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٧، ص٣١.

٢ - انظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص٦٠-٦١.

٣ - انظر: الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص٤٢٩؛ حسن مصطفوي: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٥، ص٢٣٧.

فيهم، على تقديرات وضوابط مخصوصة. وبناءً على ما تقدّم، نستنتج أنّ سُنَن التاريخ هي: مجموعة القوانين والاتّجاهات الموضوعيّة الإلهيّة الحاكمة على حركة التاريخ والمجتمع الإنساني"[1].

ثانيًا: السُنَن الاجتماعيّة الإلهيّة.. الخصائص، والمحدّدات، والأشكال:

كشف القرآن الكريم عن أنّ حركة التاريخ والمجتمع محكومة بسُنَن لها خصائص ومحدّدات معيّنة، وتجري ضمن أشكال وأنماط ومسارات محدّدة.

فما هي خصائص هذه السُنَن؟

وما هي محدّداتها؟

وما هي أشكالها ومساراتها؟

١. خصائص السُنَن الإلهيّة في القرآن الكريم:

يكشف القرآن الكريم عن خصائص تختصّ بها السُنَن الإلهيّة الجارية في التاريخ والمجتمع الإنساني"[2]؛ وهي:

أ. ربّانيّة السُنَن:

فالسُنَن الاجتماعيّة مرتبطة بالله -تعالى-؛ لأنّها كلماته التي أجراها في خَلْقه؛ وهو المدبّر الأوحد لأمور خلقه، فكلّ تدبير يرجع إليه، ولا يخرج شيء عن تدبيره؛ ومن تدبيراته: ما

١ - انظر: محمد باقر الصدر: المدرسة القرآنيّة، ص٤٠- ٥٣.

٢ - لمزيد من التفصيل، انظر: محمد باقر الصدر: المدرسة القرآنيّة، ص٥٥-٦٣؛ محمد حسين الطباطبائي: الميزان، ج٢، ص١٨١-١٨٢، ٢٩٣-٢٩٥؛ ج٤، ص٢٨-٢٩؛ ج٨، ص٢٠١؛ ج١٣، ص٥٩-٦٠؛ ج١٤، ص٣٣٠-٣٣١؛ ج١٦، ص١٩٥-١٩٦؛ ج١٧، ص٥٨-٥٩؛ ج١٨، ص٢٢٩؛ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٤، ص٩٦-١٠٠؛ ج٨، ص١٠٣-١٠٥؛ ج٢٢، ص١١٢، ٣٣٧-٣٣٨؛ ج٢٦، ص١٨٣؛ ج٨، ص٢١.

يجريه في حركة التاريخ والمجتمع الإنساني من سُنَن. قال -تعالى-: ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا**﴾ [الأحزاب: ٦٢؛ وانظر: الأحزاب: ٣٨؛ فاطر: ٤٣].

ب. العموم والشمول:

فالسُنَن الاجتماعية تعمّ بجرياها وتشمل الناس جميعهم، على اختلاف أزمنتهم وأمكنتهم، فلا تستثني أحدًا منهم. قال -تعالى-: ﴿**لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا**﴾ [النساء: ١٢٣] وانظر: [البقرة: ٢١٤].

ج. الاضّطراد والاستمرار والثبات:

فالسُنَن الاجتماعيّة ليست سُنَنًا عشوائيّة بل ثابتة ومستمرّة؛ تجري وفق قانون أو اتّجاه طبيعيّ له ضوابطه وشروطه ومساراته التي لا تختلف ولا تتخلّف. قال -تعالى-: ﴿**وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا**﴾ [الأحزاب: ٦٢] و[الإسراء: ٧٧؛ الأنعام: ٣٤].

د. انسجام السُنَن مع اختيار الإنسان:

جريان السُنَن الاجتماعيّة ينسجم مع اختيار الإنسان وصدور الأفعال منه باختياره وإرادته الحرّة للفعل، فلا تسلبه الاختيار وتجبره على الفعل. وهذا لا يستلزم أنّ يخرج الإنسان عن حاكميّة الله -تعالى- وقدرته، بل ما يختاره الإنسان من فعل وما يترتّب عليه من أثر هو بإذن الله -تعالى-، وبتقديره، وقضائه المحيط بجميع خلقه.

غاية الأمر أنّ الإنسان له اختيار مصيره، ولكنّ هذا الاختيار يترتّب عليه نتيجة وأثر لا تخرج عن أمر الله -تعالى- وحكمه[1]. قال -تعالى-: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا**

١ - انظر: محمد حسين الطباطبائي: الميزان، ج١، ص١٠٦-١١٠؛ ج١٠، ص٣٧٠-٣٧٣.

مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] وانظر: [الكهف: ٥٩؛ الجنّ: ١٦].

٢. محدِّدات السُنَن الإلهيّة التاريخيّة:

من السُنَن الإلهيّة ما يتعلّق بعالم الطبيعة؛ كالقوانين الحاكمة على عالم المادّة؛ من قبيل: قانون الغليان، ومنها ما يتعلّق بحركة التاريخ الإنسانيّ؛ وهو السُنَن التاريخيّة. ولهذا القسم من السُنَن الإلهيّة ميدانه الخاصّ الذي تحكم فيه على الساحة التاريخيّة الإنسانيّة، وتختلف فيه ظواهرها وقوانينها عن سائر الظواهر والقوانين الكونيّة والطبيعيّة التي يحكمها علاقة سبب بمسبِّب، ونتيجة بمقدِّمات فقط، كظاهرة الغليان التي هي ظاهرة طبيعيّة محكومة بعلاقة السببيّة فقط؛ لارتباطها بظروف معيّنة عند تحقّقها يحدث الغليان.

وأمّا السُنَن التاريخيّة فتحمل أبعادًا زائدة عن ذلك؛ فمضافًا إلى كون السُنَن محكومة بعلاقة السببيّة، لكنّها خصوص السببيّة التي لها غاية وهدف، وتتجاوز ذات الفرد العامل إلى المجتمع. وعليه، فموضوع السُنَن التاريخية هو العمل الهادف الذي يشكّل أرضيّة ويتّخذ من المجتمع أو الأمّة أرضيّة له[1].

وبعبارة مختصرة، يمكن القول إنّ محدّدات السُنَن الإلهيّة التاريخيّة؛ هي:

- السببيّة
- الهدفيّة والغائيّة
- الاجتماعيّة

٣. أشكال السُنَن وصِيَغها:

كشف القرآن الكريم عن أنّ الساحة التاريخيّة البشريّة عامرة بسُنَن إلهيّة، عبرّ عن حقائقها

١ - لمزيد من التفصيل، انظر: محمد باقر الصدر: المدرسة القرآنيّة، ص٦٧-٧٥.

بأشكال وأساليب مختلفة وبصِيَغ وتعابير متعدّدة؛ فتارةً عبرَّ عنها بصيغة قضيّة شرطيّة مكوّنة من طرفين يرتبطان بعلاقة شرطيّة يتحقّق بموجبها الطرف الثاني عند تحقّق الطرف الأوّل، وتارةً أخرى عبرَّ عنها بصيغة قضيّة علميّة حتميّة ثابتة لا تتخلَّف ولا تختلف، وتارةً ثالثة عَبرَّ عنها بصيغة قضيّة ذي اتّجاه موضوعي قد تقبل مخالفة الإنسان لها على المدى القصير، ولكنّها حتميّة وقاهرة له في حال استمراره في مخالفتها على المدى المتوسّط والبعيد. وهذه الأشكال السُنَنيّة هي:

أ. الشكل الأوّل «السُنَن المُصاغة على نحو القضيّة الشرطيّة»:

ذكر القرآن الكريم مجموعة من السُنَن التاريخيّة الجارية في المجتمع الإنسانيّ، وعبرَّ عنها بصيغة قضيّة شرطيّة تربط بين حادثتين أو مجموعتين من الحوادث على الساحة التاريخيّة وتؤكّد العلاقة الموضوعيّة بين الشرط والجزاء، وأنّه متى ما تحقّق الشرط تحقّق الجزاء. وهذه صياغة نجدها في كثير من القوانين والسُنَن الكونيّة والطبيعيّة.

ومثل هذه القوانين تقدِّم خدمة كبيرة للإنسان في حياته الاعتياديّة وتلعب دورًا عظيمًا في توجيه الإنسان؛ لأنّه بتعرّفه على هذه القوانين يصبح بإمكانه أنْ يتصرّف بالنسبة إلى الجزاء، ففي كلّ حالة يرى أنّه بحاجة إلى الجزاء يُعمِل هذا القانون ليحقِّق شروط هذا القانون. وهذا في السُنَن الشرطيّة الإيجابيّة، كسنّة التغيير الإيجابي: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١]، وفي الحالة التي يكون الجزاء متعارِضًا مع مصالحه ومشاعره يحاول الحيلولة دون تحقيق شروط هذا القانون. وهذا في السُنَن الشرطيّة السلبيّة؛ كسنّة التغيير السلبي: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [الأنفال: ٥٣].

لذا، كان القانون الموضوع على نحو القضيّة الشرطيّة بمثابة موجِّه عمليّ للإنسان في

حياته[1]. ومن نماذج هذه السُنَن الواردة في القرآن الكريم: سُنّة التغيير، وسُنّة التدافع، وسُنّة النصر، وسُنّة دمار المجتمعات وانهيارها بحكم الفاسقين، وسُنّة وفرة الرزق بالتقوى الاجتماعيّة، وغيرها من السُنُن.

ب. الشكل الثاني «السُنَن المُصاغة على نحو القانون العلميّ الناجز»:

كشف القرآن الكريم عن مجموعة من السُنَن التاريخيّة الجارية في المجتمع الإنسانيّ وعبرّ عنها بصيغة قضيّة علميّة فعلية ناجزة محقَّقة. فلا يملك الإنسان تجاهها إرادة تغيير ظروفها، أو تعديل شروطها، وإنّما صِيغت بلغة التنجيز والتحقيق بلحاظ زمان معيّن ومكان معين[2].

ومن السُنَن الواردة في القرآن الكريم على نحو القضيّة العلميّة الفعليّة الناجزة: سُنّة الاستخلاف، وسُنّة الابتلاء والامتحان، وسُنّة التداول، وسُنّة التفاضل والتمايز، وسُنّة آجال الأمم، وغيرها من السُنُن.

ج. الشكل الثالث «السُنَن المُصاغة على نحو القضيّة ذي الاتّجاه الموضوعيّ»:

ورد في القرآن الكريم ذِكْر مجموعة من السُنَن التاريخيّة الجارية في المجتمع الإنسانيّ عبرَّ عنها بصيغة قضيّة ذي اتّجاه موضوعيّ في حركة التاريخ والمجتمع، وهي ليست كالسُنَن السابقة المُصاغة على نحو القانون العلميّ الناجز؛ لجهة عدم قَبولها للتحدّي والمخالفة. فالقانون العلميّ لا يقبل التحدّي من قِبَل الإنسان، ولا يمكن له أن يخالفه أو ينقضه. بينما يمكن للإنسان أن يتحدّى السُنَن المُصاغة على نحو الاتّجاه الموضوعيّ؛ فهناك اتّجاهات وسُنَن موضوعيّة في حركة التاريخ والمجتمع لها خاصيّة المرونة؛ بحيث قد تقبل تحدّي

١ - انظر: محمد باقر الصدر: المدرسة القرآنيّة، ص٧٧-٨٠.

٢ - انظر: محمد باقر الصدر: المدرسة القرآنيّة، ص٨١.

الإنسان لها، ولو على المدى القصير، ولكنّها لا تقبل ذلك على المدى المتوسّط والبعيد؛ حيث يتحطّم المتحدِّي حينها بسُنَن التاريخ نفسها[1].

ومن السُنَن ذي الاتّجاه الموضوعيّ التي بيّنها القرآن الكريم: سُنَّة ارتباط الإنسان بالدين، وسُنَّة حبّ الحقّ وبغض الباطل، وسُنّة الإقبال على الطيّبات والإعراض عن الخبائث، وسُنّة الارتباط بين الرجل والمرأة، وسنّة تناسب الأعمال الاجتماعيّة مع خصائص الرجل والمرأة، وغيرها من السُنُن.

ثالثًا: السُنَن الجارية في المُستضعَفين والمستَكبرين:

كشف القرآن الكريم عن نماذج كثيرة لسُنَن اجتماعيّة حاكمة على حركة المجتمع والتاريخ، ولا سيِّما في سياق صراع الحقّ والباطل، والمُستضعَفين والمستَكبرين عبر التاريخ والواقع. وسوف نركّز على تلك السُنَن المرتبطة بالخصوص بحركة مجتمع أهل الحقّ المُستضعَفين، وحركة مجتمع أهل الباطل المستَكبرين؛ بهدف الاستفادة منها لتشكيل فهم ووعي سُنَنيّ للمُستضعَفين في مواجهة المستَكبرين.

١. سُنّة الاستخلاف:

بيَّن القرآن الكريم أنّ استخلاف الإنسان في الأرض هو سُنّة تاريخيّة إلهيّة حتميّة على نحو القانون العلميّ الناجز، الذي لا يقبل التغيير ولا التبديل، ولا التحدّي، وأنّه جعل إلهيّ لا يتخلّف فيه المراد الإلهيّ، وهو إرادة الاستخلاف للإنسان في الأرض: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ...**﴾ [البقرة: ٣٠-٣٤]؛ وتلخّص هذه الآيات مسيرة الاستخلاف منذ خلق آدم عليه السلام وامتحان الملائكة و(إبليس) في أمر استخلافه، وإسكانه

١ - انظر: محمد باقر الصدر: المدرسة القرآنيّة، ص٨٤-٨٦.

الجَنّة، وخروجه منها، وهبوطه إلى الأرض، ورجوعه وذرّيّته بعدها إلى الله بالمعاد، فلا سؤال الملائكة دفع الاستخلاف، ولا إباء (إبليس) عن السجود لآدم (عليه السلام) أبطله، ولا اقتراب آدم (عليه السلام) من الشجرة وهبوطه إلى الأرض ألغى مفاعيله، ولا معارضة الكافرين للاستخلاف في بعض الأزمنة عطّل الجعل الإلهيّ له! فاستخلاف الإنسان حتمي لا يقبل المنازعة والتحدّي؛ ولو على المدى القصير؛ بما أنّه جعل إلهيّ، فلا تخلو الأرض من حجّة مستخلَف عن الله في كلّ زمن من الأزمنة مهما حاول الكافرون دفع ذلك وإبطاله! قال -تعالى-: ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَو كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ [التوبة: ٣٣].

وأمّا تمكين المُستَضعفين في الأرض فهو-أيضًا- سُنّة تاريخيّة إلهيّة لا تقبل التغيير ولا التبديل، لكنّها تقبل التحدّي على المدى القصير؛ فهو من السُنَن المصاغة على نحو الاتّجاه الموضوعي، فالله -تعالى- أعدّ الأرض وهيّأها لعباده الصالحين خاصّة؛ ليتسلّطوا على منافعها ويتمتّعوا ببركاتها، فهم وإنْ زاحمهم الكافرون فيها وأزاحوهم عنها لوقت ما، لكنّ الله -تعالى- سيجعل لهم مآلًا وموعدًا؛ بحيث تكون الأرض خالصة لهم من دون الكافرين[1]؛ وهذا ما يعدهم القرآن الكريم به، قال -تعالى-: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٥]؛ و[النور: ٥٥؛ القصص: ٥-٦].

ولذلك كان الاستخلاف سُنّة حتميّة لا تقبل التحدّي، وهو سُنّة على نحو القضيّة الفعليّة الناجزة، وكان التمكين سُنّة قابلة للتحدّي على المدى القصير، لا المتوسّط والبعيد، وهو سُنّة على نحو الاتّجاه الموضوعي.

ولذا، كان على مجتمع المستضعفين أن لا يسلك سلوكًا ولا يتّخذ موقفًا معاكسًا ومعارضًا لسُنّة الاستخلاف، وإلا تعرّض للهلاك، وأن يسعى إلى تحقيق التمكين في الأرض؛ بإيجاد الظروف الموضوعيّة لتحقيقه والتمهيد لحصوله.

---

١ - انظر: محمد حسين الطباطبائي: الميزان، ج١٤، ص٣٣٠-٣٣١؛ ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل، ج١٢، ص١٧٣-١٧٤.

وكذا فلتعلَم أي جماعة بشريّة؛ كالمُستكبِرين، سلكت مسلكًا معارضًا لسُنّة الاستخلاف وعرّضت مشروع الاستخلاف لخطر التهديد الوجودي؛ فإنّها سوف تضع نفسها أمام الاستئصال والهلاك الحتمي؛ إمّا بيد المستخلَفين المُستضعَفين، حماة مشروع الاستخلاف والمدافعين عنه، وإمّا بيد التكوين الغَيبية، كما حصل مع الأقوام الغابرة المستكبِرة، كقوم نوح، وعاد، وثمود، وفرعون، و...

والأمر نفسه في معارضة المُستكبِرين لسُنّة التمكين، وإنْ كان تحدّيهم لها ممكنًا على المستوى القصير، لكنّ استمرار تحدّيهم لتمكين المُستخلَفين المُستضعَفين في الأرض سوف يعرِّضهم لخطر الاستئصال والهلاك الحتمي، ولو بعد حين، كما حصل مع الأقوام الغابرة التي عارضت دعوات الأنبياء عليهم السلام ومشروعهم الإلهيّ.

٢. سُنّة التغيير الاجتماعي:

بيّن القرآن الكريم هذه السُنّة التاريخيّة بصيغة القضية الشرطيّة في قوله -تعالى-: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١]؛ حيث ربط بين تغييرين، بين تغيير المحتوى الداخليّ للإنسان، وتغيير الوضع الظاهريّ للمجتمع الإنسانيّ، ومفاد هذه العلاقة أنّه متى ما وُجِدَ ذاك التغيير في نفس الفرد وُجِدَ هذا التغيير في كيان المجتمع الإنسانيّ. فإذا ما أرادت أمّة ما أن ترتقي إلى السعادة والحياة الكريمة، وأن تكون عزيزة كريمة حرّة مستقلّة راقية متقدّمة على جميع المستويات المادّية والمعنوية والفكريّة والعلميّة...، فعلى أفرادها أن يُحدِثوا تغييراً في أنفسهم على مستوى الفكر والعقيدة والأخلاق والقِيم، لينتج عنه توافر البيئة المناسبة لإيجاد المجتمع الإنسانيّ السعيد الذي يحيا حياة كريمة سعيدة وراقية.

وفي المقابل، إذا ما أرادت أُمّة ما أن تحافظ على سعادتها وحياتها الكريمة ورقيّها، فعلى أفرادها تجنّب التعرّض لتغيير سلبيّ على مستوى أنفسهم، بما لا يؤدّي إلى سلب الأُمّة هذه النعمة الإلهيّة: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**

﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣].

إنّ هذا التغيير الداخلي لأفراد المجتمع في جانبَي الإيجاب والسلب ليس مشروطًا أن يكون على نحو الموجبة الكلّيّة بل يكفي أن يحصل التغيير الداخلي لفئة من المجتمع؛ بحيث ينعكس تغييرها الذي أحدثته على واقع مجتمعها بأسره، حتى يتحقَّق في هذا المجتمع التغيير الاجتماعي الإيجابي أو السلبي، فلو أنّ مجتمعًا من المجتمعات يرزح تحت الاحتلال ويعاني الخنوع الهوان والذلّ، فقامت فئة من مكوّناته بتغيير أنفسها رافعة عن نفسها الخنوع والذلّ والهوان؛ بالشجاعة والمقاومة والتضحية والفداء، وكان فعلها المقاوم له أثره في انعتاق المجتمع بأسره من نير الاحتلال، فإنّ هذا المجتمع ستحوّل من مجتمع ذليل وخاضع ومستعبد إلى مجتمع عزيز ومقاوم وحرّ؛ حتى لو لم يكنْ أفراده بأسرهم متحقّقين بذلك! فشرط التغيير الاجتماعي هو التغيير الداخلي الذي يكون تغييره مؤثِّرًا على المجتمع بأسره.

وهكذا في شتّى نواحي التغيير الاجتماعي، فلو أنّ مجتمعًا قابعًا في ظلمات الجهل والتخلّف، وقامت فئة منه بتغيير محتواها الداخلي لجهة طلب العلم، وكانت تلك الفئة لها أثرها الفاعل في المجتمع، فإنّ هذا المجتمع سيتحوّل إلى مجتمع عالم ومتقدّم وحضاريّ، حتى لو كان بعض أفراده ليسوا من أهل العلم والحضارة.

وبناءً على ما تقدّم، فعلى كلّ فرد من أفراد مجتمع المُستضعَفين، إذا ما أراد التغيير لواقع مجتمعه من الأسوأ نحو الأفضل؛ من الجهل إلى العلم، ومن التخلّف إلى الحضارة، ومن الاستعباد والخضوع إلى الحريّة والاستقلال، ... أن يُحدِث تغييرَين: الأوّل: تغيير في محتواه الداخلي، فيتّصف بما يتطلّبه التغيير الاجتماعي؛ من العلم، والحضارة، والاستقلال، والتحرّر و... على مستوى ذاته. والثاني: تغيير في المحتوى الداخلي لمحيطه الذي يقدر على أن يؤثِّر فيه؛ كأهله، وأسرته، وأقربائه، وأصدقائه، وجيرانه... فلو حمل كلّ فرد من أفراد مجتمع المُستضعَفين هذين التكليفين، لنتج عن ذلك التغيير الاجتماعي المنشود، بدلاً من أن يبكي كل فرد ويتحسّر على جهل مجتمعه، وتخلّفه، وذلّته، وهوانه، ورزوحه تحت الاستعباد والاستبداد...!

٣. سُنّة التدافع:

عبرّ القرآن الكريم عن هذه السُنّة التاريخيّة الجارية في المجتمع الإنسانيّ بصيغة قضيّة شرطيّة تربط بين طرفين؛ الأوّل: وجود التدافع في المجتمع الإنسانيّ، والثاني: امتناع الفساد في الأرض. قال -تعالى-: ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنّ اللّه ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ [البقرة: ٢٥١] وانظر: [الحج: ٤٠].

فالتدافع أمر فطريّ موجود في أصل خِلْقة الإنسان، وهو معنى عامّ جارٍ في جميع شؤون المجتمع الإنسانيّ. وحقيقة التدافع هي حمل الآخر بأيّ وجه أمكن على ما يريده الإنسان، ودفعه عمّا يزاحمه ويمانعه عليه. وهذا معنى عامّ موجود في الحرب والسلم معًا، وفي الشدّة والرخاء، والراحة والعناء جميعًا، وبين جميع الأفراد المجتمع الإنسانيّ وشعوبه وأُممه.

نعم، إنّما يتنبّه الإنسان له عند ظهور المخالفة ومزاحمة بعض الأفراد بعضهم لبعض في حقوق الحياة، أو في الشهوات والميول ونحوها، فيقوم الإنسان حينها بدفع الشخص المزاحم والممانع له عن حقّه أو عن مشتهاه.

ومن موارد جريان سُنّة التدافع في المجتمعات: دفع الظلم والباطل عنها، وإحياء الحقّ والعدل فيها[1].

فلا استقامة للحياة الأرضية ولا استمرار لمسيرة الاستخلاف الإلهي للإنسان في الأرض إلا بدفع الظلم والجور والباطل بأيدي ثلّة من المؤمنين الذين شرّفهم الله -تعالى- واختارهم لهذه المسؤولية العظيمة؛ مسؤولية دفع الفساد عن الأرض والإنسان والمقدّسات، فدفع بعضٍ هو دفع عن الكلّ بموجب هذه السنّة الإلهيّة.

لذا، على أي مجموعة مؤمنة مُستضعَفة تضطلع بمقاومة الظلم والاستبداد في أيّ زمان ومكان أن تعلم أنّها تؤدّي دورًا مصيريًّا في الحياة، وتدفع عن الإنسانيّة بكلّها، وتحفظ سلامة مسيرة الاستخلاف الإلهيّ، وتهيِّئ الظروف الموضوعيّة للتمكين في الأرض. وهذا أمر مهمّ

١ - انظر: محمد حسين الطباطبائي: الميزان، ج٢، ص٢٩٣-٢٩٥.

جدًا ينبغي الوعي به في بناء فهم وبصيرة سُنَنِيَّة لدى الإنسان، في سياق التمهيد لإقامة حكومة التوحيد والعدل الإلهيّين في آخر الزمان، وتمكين المستضعفين في الأرض.

والأمّة التي لا تؤدّي دورها وتكليفها في الدفع ومقاومة الظلم والاستبداد سوف تعرّض نفسها لجريان سُنّة أخرى؛ وهي سُنّة الاستبدال؛ حيث حذّر الله -تعالى- الأُمّة المتقاعسة عن أداء واجباتها ومسؤوليّاتها في مقاومة الباطل، باستبدالها، فضلاً عن تعريضها لنفسها بفرارها من الزحف إلى العذاب الإلهي والخسران في الدنيا والآخرة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [التوبة: ٣٩-٤٠]، كما حصل مع بني إسرائيل عندما تخلّفوا عن دخول الأرض المقدّسة ومواجهة الجبّارين، فعاقبهم الله تعالى بالتيه! [المائدة: ٢١-٢٦].

كما أنّ تقصير الأُمّة في الإنفاق والتجهيز القتالي في سبيل الله تعالى والدفاع عن الحقّ، يعرّضها للاستبدال: ﴿**هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾ [محمّد: ٣٨].

ومن النماذج القرآنيّة التي عرضها القرآن الكريم لدفاع المُستضعَفين في مواجهة المستَكبرين: بنو إسرائيل مع طالوت وداوود عليه السلام[1]؛ فلماّ حملت فئة مؤمنة منهم مسؤولية الدفاع ومواجهة الاستكبار والطغيان، نصرها الله تعالى على عدوّها [البقرة: ٢٤٩-٢٥١].

٤. سُنّة النصر:

بيَّن القرآن الكريم أنّ النصر سُنّة من السُنَن الإلهيّة الجارية ضمن المجتمع الإنسانيّ،

١ - انظر: محمد بن الحسن الطوسي: التبيان، ج٢، ص٢٨٨-٣٠٢؛ الفضل بن الحسن الطبرسي: مجمع البيان، ج٢، ص١٣٩-١٥١.

ولكنْ ضمن شروط معيّنة، يتحقّق النصر عند تحقّقها؛ بمعنى أنّ الله -تعالى- يهيِّئ للمؤمنين أسباب النصر المقتضية لظهورهم وغلبتهم على عدوهم، كإلقاء الرعب في قلوب الأعداء، وإدارة الدوائر للمؤمنين عليهم، وتشجيع المؤمنين، وتقوية قلوبهم، وربط جأشهم، وتثبيت أقدامهم[1]. ومن الشروط التي ذكرها القرآن الكريم لتحقّق النصر الإلهيّ:

- الإيمان الصادق، قال -تعالى-: ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الروم: ٤٧].
- تولّي الله -تعالى- وتولّي أولياءه، قال -تعالى-: ﴿**وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ [المائدة: ٥٩].
- الإيمان بأنّ النصر من عند الله، قال -تعالى-: ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ [آل عمران: ٢٦]؛ و[البقرة: ٢٥١].
- نصرة الله -تعالى- بإعلاء كلمته ودينه، قال -تعالى-: ﴿**إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ**﴾ [محمد: ٧]؛ [الحج: ٤٠].
- تقوى الله وشكره، قال -تعالى-: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [آل عمران: ١٢٣]؛ و[الأنفال: ٢٦].
- الصبر على الابتلاء والامتحان الإلهيّ، قال -تعالى-: ﴿**بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ**﴾ [آل عمران: ١٢٥]؛ و[البقرة: ٢١٤؛ ٢٥٠].
- الإعداد والتجهيز، قال -تعالى-: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ...**﴾ [الأنفال: ٦٠]؛ فعلى الأمّة أن تبذل جهدها ووسعها في الإعداد والتجهيز لمكامن القوّة، في جميع المجالات والميادين التي تشكّل مواطن قوّة واقتدار على العدو، وذلك وفق طاقتها

١ - انظر: محمد حسين الطباطبائي: الميزان، ج١٨، ص٢٢٩.

واستطاعتها، والله يتكفّلها حينها بتتميم مواطن قصورها لتحقيق الغلبة على العدو بالمدد الغيبي.

ولذا، كان على الأُمّة المستضعفَة أن لا توفّر جهدًا وطاقة كامنة فيها؛ مادّيّة وبشريّة، إلا وتعمل عليها إعدادًا وتطويرًا، في مواجهة العدو المستكبر. فعلى سبيل المثال: العمل على الاستفادة من الأفراد الذين رُفِع عنهم القتال البدني، في جبهات ثقافية وأمنيّة وتكنولوجيّة وإعلاميّة... تتطلّبها المواجهة والمقاومة للعدو.

وفي سياق البحث في سُنّة النصر، ينبغي الالتفات إلى أمور، وهي:

- لا بدّ من تحقّق شروط النصر جميعها، حتى تجري سُنّة النصر في أُمّة من الأمم، فقد تظنّ أُمّة من الأمّم أنّها حقّقت تلك الشروط ظاهرًا، ولكنّها واقعًا مقصّرة على مستوى بعض الشروط، أو أنّ تحقّقها بشرط ما ليس بالمستوى المطلوب لجريان سُنّة النصر، فتحتاج إلى أن تعمل على إصلاح نفسها، أو تحقيق شرط من الشروط بدرجة أعلى، كالصبر والتقوى... بدرجة أعلى ممّا هي عليه واقعًا.
- يمكن أن تتحقّق شروط النصر جميعها، لكنْ لا تجري سُنّة النصر في الأمّة؛ لحاكميّة سُنَن أخرى في الجريان عليها، كسنّة الابتلاء والامتحان التي يريد الله -تعالى- بجريانها صناعة الأُمّة الصابرة المحتسبة التقية وتشريفها بهذا الابتلاء، الذي يظهر أوّل ما يظهر فيها بصورة عدم تحقّق النصر، لكنْ بعد أن تستجيب الأُمّة لسُنّة الابتلاء الإلهيّ وتجتاز الامتحان بنجاح، تجري فيها سُنّة النصر بصورة أعظم وأجلى من جريانها في الظرف السابق على الابتلاء والامتحان: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾ [البقرة: ٢١٤]، ويكون هذا التأخّر في جريان النصر حينها لأجل إعداد الأمّة على المستويين المعنوي والمادّي لمواجهة مستقبليّة تتطلّب إعدادًا

خاصًّا وجهوزيّة استثنائيّة، فيكون الابتلاء بعدم تحقّق سُنّة النصر دافعًا للأُمّة إلى مراجعة نفسها على مستوى الإعداد الروحي، والإيماني، والوعي، والإدارة، والتنظيم، والتخطيط، والتجهيز ... بما ما لم تكنْ لتلتفت إليه، ولا تتبصّر به، ولا تمتلك الإرادة والعزم نحو تحقيقه وإجرائه في واقعها، لولا وقوعها في سُنّة الابتلاء والامتحان الإلهي! [آل عمران: ١٤٦-١٤٨].

- جريان سُنّة النصر لا ينحصر بصورة تحقّق نصر ماديّ للأُمّة؛ فقد تجري سُنّة النصر فيها، مع وقوع خسائر جسيمة في الأُمّة المنتصرة على مستوى فقدان الأنفس والإضرار بالمقدّرات الماديّة لها. فبقاء الأُمّة متماسكة وصابرة وثابتة على عقيدتها ونهجها هو نصر في معركة الحقّ والباطل، وإفشال لمخطّطات الأعداء من المواجهة مع أهل الحقّ؛ لأنّ معيار النصر الحقيقي الإلهيّ هو نيل إحدى الحُسنَيَين؛ إمّا الغلبة والظهور على العدو، وإمّا الشهادة على نهج الحقّ وإفشالاً للأهداف العدو ومخطّطاته، فالمعادلة الإلهيّة للمؤمنين هي (نصر غلبة = نصر شهادة): ﴿**قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ**﴾ [التوبة: ٥٢]، وعلى الحالتين يكون قياس النصر باستمرار نهج الحقّ والثبات عليه، وإفشال أهداف أهل الباطل ومنعهم من تحقيقها.
- جريان سُنّة النصر وغيرها من السُنَن على الساحة الإنسانيّة لا يُقاس بجريان الأمور الفرديّة في حياتنا الخاصّة، فمن الخطأ أن نحكّم فهمنا لجريان أمورنا الخاصّة في أعمارنا المحدودة (٨٠ سنة بمعدل طبيعي لأعمارنا)، في الساحة الإنسانية؛ فقوانين المجتمع وسُنَنه ترتبط بحياة الأُمم لا الأفراد، وهي محكومة لكلّ مساحة التاريخ الإنساني وحاضره ومستقبله، وهي مساحة زمنية لا تُقاس بأعمارنا الفرديّة المحدودة. وعليه، فقد تتحقّق شروط النصر، وتكون النتيجة بحسب فهمنا الفردي

متأخّرة، لكنّها بالفهم السُنَني الاجتماعي طبيعيّة ومنطقيّة.

- كما يمكن أن تكون نتيجة جريان سُنّة النصر (لارتباطها بالمجتمع وحركته) تتبع ظهور إرهاصات النصر في الأمّة والهزيمة في عدوّها، وهذا يحتاج إلى مزيد وقت حتى يظهر للعيان، أو قد يكون متحقّقًا، ولكنْ لم يظهر لنا بشكل جلي لتكتّم العدو عنه، فيحتاج إلى وقت ليظهر: ﴿**وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾ [النساء: ١٠٤].

ومن النماذج القرآنيّة لنصرة الله تعالى للمُستضعَفين على المستكبرين:

- كثير من المؤمنين المُستضعَفين في أزمنة الأنبياء السابقين: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٦-١٤٨].
- المؤمنون بالنبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في زمنه، كما في معركة بدر: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [آل عمران: ١٢٤].

٥. سُنّة الابتلاء والامتحان:

كشف القرآن الكريم عن جريان هذه السُنّة في المجتمع الإنسانيّ وفق قانون حتميّ لا يقبل التغيير ولا التبديل، فلا يُستثنى منها أحد من الناس، قال -تعالى-: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]. ويتوقّف على جريان هذه السُنّة إيصال نوع

الإنسان إلى سعادته وكماله، فالإنسان مخلوق قابل للوصول إلى الكمال بما جهّزه الله -تعالى- في أصل خِلْقته من قوى واستعدادات، لو أُتيحت له فرصة تفتّحها وخروجها إلى حيّز الفعليّة لوَصَل إلى كماله.

وسُنّة الابتلاء والامتحان تتيح للإنسان هذه الفرصة؛ لأنْ تتفتّح استعداداته الكماليّة وتَظهَر إلى الفعليّة، بعد أنْ كانت كامنة فيه بالقوّة، قال -تعالى-: ﴿**الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُو الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾ [الملك: ٢] و[الكهف: ٧].

فعلى مجتمع المُستضعَفين أن لا يعاند هذه السُنّة ولا يواجهها بل يسير وفقها، ويستفيد منها في تحصيل كمالاته، وتحقّقه بالتمكين في الأرض. فكيف له أن يتحقّق بكمالات؛ كالاستقلال، والعزّة، والكرامة، والتضحية، والفداء، والتعاون، والتكافل، و... إذا لم يُمتحن ويُختبر، بما من شأنه أن يخرج هذه الكمالات الكامنة فيه بالقوّة إلى الفعليّة بالابتلاء بالدفاع والمقاومة للمعتدين والظالمين؟! وكيف له أن يتطوّر على المستوى العلمي والحضاري والحياتي الاقتصادي و... إذا لم يُمتحن ويُختبر بالابتلاء بالحصار والتضييق و...؟!

إنّ سُنّة الابتلاء والامتحان هي يد الصناعة الإلهيّة للإنسان. لذا، عليه أن يمتلك وعيًا سُنَنيًّا بها في مقاربة حركته الاجتماعيّة (وكذلك الفرديّة)، ليجد أنّها نعمة إلهيّة محضة، وإنْ بدت في صورة نقمة، وأنّها مسبِّبة لحصول الكمال والوجدان والخير، وإنْ بدت مسبّبة لوقوع النقص والفقد والألم!: ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾ [العصر: ٥-٦].

وقد ذكر القرآن الكريم جملة من الآثار والفوائد المترتّبة على جريان هذه السنّة، وهي:

- تمييز المطيع من العاصي، والصالح من الطالح، قال -تعالى-: ﴿**إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٠].
- تصفية إيمان المؤمنين من الشوائب وإزالة آثار الشرك وأهله، قال -تعالى-: ﴿**وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤١].

- إيقاظ الإنسان من غفلته وإرجاعه إلى جادة الصواب، قال -تعالى-: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]؛ و[الأعراف: ١٣٠؛ الحديد: ٢٢-٢٣].
- رفع منزلة الإنسان ودرجته، قال -تعالى-: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]؛ و[السجدة: ٢٤].

٦. سُنّة التداول:

كشف القرآن الكريم عن هذه السنّة الإلهيّة الجارية في المجتمع الإنسانيّ على اختلاف الزمان والمكان؛ وهي سُنّة حتميّة لا تقبل التغيير ولا التبديل، ولا تستثني أحدًا من الناس؛ فالكلّ مشمول بها. قال -تعالى-: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

والمراد بهذه المداولة أنّ السُنَّة الإلهيّة جرت على مداولة الأحداث بين الناس، على اختلاف الأزمان، من غير أن تتوقّف على قوم دون غيرهم؛ وذلك لوجود مصالح عامّة تتبع هذه السُنَّة، لا تحيط بها أفهام الناس إلا ببعضها دون جميعها.

ومن الأمور التي يمكن لهم أنْ يحيطوا بها علمًا: إظهار الله -تعالى- إيمان المؤمنين بعد أنْ كان خافيًا، واتّخاذ أفراد من الأمم؛ ليكونوا شهداء على أعمالها عند الله، وتصفية إيمان المؤمنين وتخليصه من الشوائب والنواقص، وإزالة جذور الكفر وآثاره[1]: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠-١٤١].

وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «ولقد كان الرجل منّا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين. يتخالسان أنفسهما أيّهما يسقي صاحبه كأس المنون. فمرّة لنا من

١ - انظر: محمد حسين الطباطبائي: الميزان، ج٤، ص٢٨-٢٩.

عدوّنا، ومرّة لعدوّنا منّ. فلمّا رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر؛ حتى استقرّ الإسلام ملقيًا جرانه، ومتبوّئًا أوطانه»[1].

ومن هنا، فإنّ سُنّة التداول تجري في أُمّة من الأمم، إمّا بتداول سلبي؛ بسبب تقاعسها عن أداء دورها ومسؤولياتها في الثبات على الحقّ والدفاع عنه، فتعرّض نفسها للاستبدال؛ بتداول الأيام بغلبة عدوّها عليها! وإمّا بتداول إيجابي؛ لاختبارها وامتحانها وإعدادها وتقويتها لتوجيه الضربة القاضية لعدوّها في مستقبل الأيام. تلك الضربة التي ما كانت لتصل إليها إلا بمداولة الأيام لعدوّها عليها؛ دفعًا لها وتحريكًا نحو مراجعة نقاط ضعفها وخللها؛ للعمل على تلافيها، وتقوية وتحصين نقاط قوّتها، كما ورد في آيات سورة آل عمران التي تعرّضت لمعركة أُحد؛ حيث كانت الغلبة للمسلمين أوّلًا، ثمّ دارت الأمور لعدوّهم عليهم؛ لخلل حصل فيهم، ما كانوا ليتداركوه إلا بالمداولة والابتلاء، فلمّا تداركوا عادت لهم الغلبة، وقويت شوكتهم، وخلص إيمانهم، وأصبحوا أقرب ما يكون من قطع شوكة الكفر وجذوره من ذي قبل.

ولذا، كان على مجتمع المُستضعَفين أن يتجنّب التعرّض للتداول السلبي، حتى لا يُستبدَل بغيره، وأن يستفيد من التداول الإيجابي، تمهيدًا لتحقّقه بالتمكين في الأرض.

٧. سُنّة دمار المجتمعات وانهيارها بحكم الفاسقين:

كشف القرآن الكريم عن هذه السُنّة، وعبرّ عنها بصيغة قضيّة شرطيّة تربط بين طرفين: الأوّل: حكم الفاسقين للمجتمعات، والثاني: دمار المجتمعات وانهيارها. وهذه السنّة من السُنَن الجارية في مجتمع المستكبرين. قال -تعالى-: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾ [الإسراء: ١٦]؛ أي إذا دنا

١ - الشريف الرضي: نهج البلاغة، ج١، الخطبة ٥٦، ص١٠٥.

وقت هلاك المجتمعات المستكبرة؛ نتيجة كفرانها بالنعمة، وطغيانها بالمعصية، وإعراضها عن الهداية الإلهيّة، واستكبارها، جرت عليها سُنّة الإملاء والاستدراج، قال -تعالى-: ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ**﴾ [الأعراف: ١٨٢-١٨٣]؛ و[آل عمران: ١٧٨]، حتّى تسترسل في الطغيان والاستكبار، فيُؤمِّر فيها الناسُ الفسّاقَ عليهم، وهم الذين إذا تولّوا سعوا في الأرض؛ فسادًا وإهلاكًا للحرث والنسل: ﴿**وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ [البقرة: ٢٠٥-٢٠٦]؛ فعندها يحقّ القول على هذه المجتمعات المستكبرة وينزل عليها العذاب[1].

ونزول هذا العذاب إمّا بالأسباب التكوينيّة، كالذي جرى على الأُمم الغابرة؛ كقوم نوح، وعاد، وثمود، وفرعون، و... وإمّا بأيدي عباد الله تعالى المُستضعَفين: ﴿**قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة: ١٤-١٥]؛ كما في المؤمنين بالنبي محمّد ﷺ في زمنه؛ بنصرهم على المشركين واليهود. ونزول العذاب الإلهي بأيدي المؤمنين المُستضعَفين، يكشف عن صلاح الأمّة وقوّتها وتشريفها الإلهيّ؛ بأنْ بلغت من الكمال والاقتدار؛ ما جعلها يد الله تعالى التي يبطش بها!

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه السُنّة وكذلك السُنَن المسبِّبة لوقوعها، كسنّة الإمهال والاستدراج، قد تكون حاكمة في الجريان أيضًا على سُنَن أخرى، كسنّة النصر، فتتحقّق شروط النصر، ولكنْ لا تجري سُنّته في أُمّة مؤمنة في زمان ما؛ بفعل اختبارها وامتحانها من جهة (جريان سُنّة الابتلاء والامتحان)، وإمهال الأُمّة الظالمة المستكبرة واستدراجها إلى هلاكها وزوالها (جريان سُنّة انهيار المجتمعات بحكم الفاسقين).

---

١ - انظر: محمد حسين الطباطبائي: الميزان، ج١٣، ص٥٩-٦٠.

٨. سُنّة آجال الأمم:

بيّن القرآن الكريم وجود آجال للأمم، فضلاً عن وجود آجال لأفرادها. وهذه سُنّة إلهيّة حتميّة لا تقبل التغيير ولا التبديل. قال -تعالى-: ﴿**لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ [يونس: ٤٩؛ و[الأعراف: ٣٤]؛ حيث أُضيف الأجل إلى الأُمّة؛ أي إلى الوجود المجموعيّ للناس، لا إلى هذا الفرد بالذات، أو هذا الفرد بالذات. وهذا يعني أنّ هناك وراء الأجل المحدود المحتوم لكلّ إنسان بوصفه الفرديّ: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾ [آل عمران: ١٨٥؛ و[الرحمن: ٢٦-٢٧]، أجلٌ آخر وميقات آخر للوجود الاجتماعيّ لهؤلاء الأفراد الذي يعبرّ عنه القرآن الكريم بالأمّة، فلهذا المجتمع ولهذه الأمّة أجل وموت وحياة وحركة، كما أنّ للفرد أجلاً وموتًا وحياةً وحركةً، وكما أنّ الفرد يتحرّك فيكون حيًّا ثمّ يموت، كذلك الأمّة تكون حيّة ثمّ تموت، وكما أنّ موت الفرد يخضع لأجل ولقانون ولناموس، كذلك الأُمم لها آجالها المضبوطة، وهناك نواميس وقوانين تحدّد لكلّ أمّة هذا الأجل. فللتاريخ سُنَن تتحكَّم به وراء السُنَن الشخصيّة التي تتحكّم في الأفراد، بهوياتهم الشخصيّة، قال -تعالى-: ﴿**وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ * مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ**﴾ [الحجر: ٤-٥؛ و[المؤمنون: ٤٣؛ الأعراف: ١٨٥]. والأجل الذي يُترقَّب أنْ يكون قريبًا أو يهدّد هؤلاء بأنْ يكون قريبًا هو الأجل الجماعيّ، لا الأجل الفرديّ؛ لأنّ قومًا بمجموعهم لا يموتون عادة في وقت واحد؛ وإنّما الجماعة بوجودها المعنويّ الكلّيّ هو الذي يمكن أن يكون قد اقترب أجله. فالأجل الجماعي -هنا- يعبرّ عن حالة قائمة بالجماعة، لا عن حالة قائمة بهذا الفرد أو بذاك؛ لأنّ الناس عادة تختلف آجالهم حينما ننظر إليها بالمنظار الفرديّ، لكنْ حينما ننظر إليهم بالمنظار الاجتماعيّ؛ بوصفهم مجموعة واحدة متفاعلة؛ في ظلمها وعدلها، في سرّائها وضرائها، حينئذ يكون لها أجل واحد. فهذا الأجل الجماعيّ المشار إليه، إنّما هو أجل الأمّة. وهذا الأجل حتمي للأمّة المستكبرة، وكذلك للأمّة المتخاذلة عن الدفع والمقاومة للفساد والاستكبار[1].

١ - انظر: محمد باقر الصدر: المدرسة القرآنيّة، ص٤٢-٤٣؛ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٨، ص١٠٤-١٠٥.

خاتمة:

لمّا كان الصراع بين المُستضعَفين والمُستكبِرين صراعًا على امتداد التاريخ والواقع الإنساني، وكانت حركة المجتمع محكومة بسُنَن وقوانين محدّدة لا تتبدّل ولا تتغيّر؛ فقد بات لزامًا في صراع أهل الحقّ المُستضعَفين مع أهل الباطل المُستكبِرين، أن يمتلك أهل الحقّ وعيًا وفهمًا سُنَنيًّا، لتشكيل فهم دقيق وفاعل للتاريخ والواقع واستشراف المستقبل، والانطلاق من ذلك كلّه في مواجهة عدوّهم المُستكبِر، وإدارة معركة الحقّ والباطل، والسير على هدي الوعي السُنَني نحو الوعد الإلهي الحتمي لهم بالتمكين في الأرض ووراثتها.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية، لا ط، ١٩٨٤م.
- أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، قم المقدّسة، مكتب الإعلام الإسلامي، لا ط، ١٤٠٤هـ.ق.
- حسين الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، قم، طليعة النور؛ مطبعة سليمانزاده، ط٢، ١٤٢٧هـ.ق.
- الشريف الرضي: نهج البلاغة، شرح: محمد عبده، قم، دار الذخائر/ مطبعة النهضة، ط١، ١٤١٢هـ.ق/ ١٣٧٠هـ.ش.
- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، بيروت، دار الأميرة، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- محمد باقر الصدر: المدرسة القرآنيّة، لا م، دار الكتاب الإسلامي، مطبعة ستار، ط٢، ١٤٣٤هـ.ق/ ٢٠١٣م.
- محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، لا ط، لا ت.
- الفضل بن الحسن الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحقّقين، بيروت، مؤسّسة الأعلمي، ط١، ١٤١٥هـ.ق/ ١٩٩٥م.
- محمد بن الحسن الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، طهران، مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ.ق.
- حسن مصطفوي: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، طهران، مؤسّسة الطباعة والنشر في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط١، ١٤١٧هـ.ق.